ARTISTS' PERSPECTIVES

"رافايل مونتانيز أورتيز" يُعلق على تجارب لونية للفنان "جيه إم دابليو تيرنر" (J.M.W. Turner)، من عدة كتالوجات له (1791)

بدأت حياتي كرسام من المدرسة التعبيرية باستخدام أسلوب "تمبرا" قبل أن أتجه إلى الزيوت. وقد كان "تيرنر" دائماً مصدراً مؤثراً؛ وبرغم ذلك، فقد كان مفهومه عن الجمال – الذي غلب عليه دائماً الطابع البدائي – هو ما بهرني وانسجم مع رحلتي الوجودية كفنان. أما بالنسبة للقصة التي تحكي عن ربطه في صاري إحدى السفن ليكون في قلب عاصفة عاتية أثناء قيامه برسمها – سواءً كانت تلك القصة حقيقية أم لا – فإنها تحكي عن سعيه لتحقيق تجربة عاطفية عميقة، وتحويلها إلى واقع ملموس من خلال لوحاته. وكانت لديه رؤية خليقة بنبي يكشف عن روحه القابعة والتي تتوارى عن الإدراك المألوف. مثله في ذلك مثل مريض الصرع الذي يرى وهجاً روحانياً لا ينطفئ في كل شيء يقوم به، ومثل ساحر من قبائل الأزتيك يرى إله الدمار في نيران شمس الغروب، بل ويرى شمس الغروب ذاتها في كل ما يمس النار.

إلا إن هناك ما يخفى عن الأعين؛ فهناك خوف يجبرنا على العودة للواقع من تهاوي الانطلاق إلى الحالة الروحانية الناقصة للعالم الغيبي الذي يخلق ويعتنق قدرة هائلة حبيسة في عدم الكمال البشري، والتي تتصور نيران الشمس في جنة تحترق، كما هو الحال في لوحة "تيرنر" المسماة "الشمس تغرب فوق بحيرة" (1840 تقريباً)، والسماء النارية لجحيم مشتعل، كما تظهر في لوحة "احتراق مباني البرلمان" (1834)، ولوحة "سفينة نقل العبيد" (عُرضت عام 1840). تمثل لوحات "تيرنر" المراحل الأولى لعودته إلى العالم البارد للتغلب على خوفه من النار. سفن مهددة بالانقلاب في المحيطات الهائجة بالزبد في لوحة "صيادون على شاطئ منجرف، في طقس عاصف" (التي عُرضت عام 1802)، ولوحة "عاصفة ثلجية – قارب بخاري خارج مصب المرفأ وهو يُرسل إشارات في مياه ضحلة" (التي عُرضت عام 1842)، ولوحة "مرفأ كاليه" (1803)، ووصولاً في النهاية إلى المرفأ في "ديدو يبني قرطاج" (1815). كما نعايش أعمال "تيرنر" على اليابسة في لوحة "مقعد السيد 'وليام موفات' المحترم" في مورتليك. في صباح (صيف باكر)" (عُرضت عام 1826) ولوحة "روما من الفاتيكان. رفائيل بصحبة لا فورنارينا، يحضّر لوحاته لتزيين لوجيا" (عُرضت عام 1820). وتغيب هنا الرؤية الروحانية للسماء المشتعلة، فقد عاد الفنان إلى الحالة الطبيعية، لكنه سرعان ما عاد من جديد إلى الإبداع من خلال لوحته "سنا القمر، دراسة في ميلبانك" (عُرضت عام 1797)، والتي ترمز إلى وقت الخلود للنوم والخدر والأحلام النارية.

"رافائيل مونتانيز أورتيز" (وُلد عام 1934) يعيش ويعمل في مدينة نيويورك، وهو مؤسس متحف "إيل موزيو ديل باريو" في نيويورك.